

## موضوع المداخلة

### مشكلة المفاهيم في الدراسات الدعوية، أهمية الطرح والمقاربة.

إعداد : الأستاذ الدكتور البشير قلاتي

- أهمية طرح المشكلة.
- تأصيلها في إطار المرجعية الإسلامية.
- عناية علماء المسلمين بتصحيح المفاهيم.
- أهمية دراسة المفاهيم في هذا العصر.
- تجليات أزمة المفاهيم في واقعنا الحضاري المعاصر.

### أولاً- أهمية طرح المشكلة:

المفاهيم، في أي دراسة علمية، تعتبر ركنا أساسيا في تناول الاطار المنهجي ابتداءً،، وتوضيح مفاهيم الدراسة وبحث مفهومها ومؤدّاها أولى خطوات الباحث، قبل الولوج في تناول فصول ومباحث دراسته،، للتأسيس وبناء مذكرته (ماستر)، أو أطروحته (دكتوراه).... بما يمثل تماما بناء بيت أو عمارة..... وعليه فتحديد المفاهيم من المعالم الاساسية الهامة في البحث العلمي، التي تضع القارئ أمام صورة واضحة لكل المفاهيم المرتبطة بالبحث؛ إن تحديد المصطلحات التي يستعملها الباحث أمر في غاية الأهمية، و بدونه سندور مع المؤلفين والمخالفين في حلقة مفرغة ولا نستطيع أن نطلق من مفاهيم واضحة لتتفق عليها للوصول إلى حل أي مشكل.

إلا ان هناك مشكلة تعترض الباحثين في مجال العلوم الانسانية عموما وهي : اختلاف المفاهيم وتضاربها أحيانا، حتى أننا ربما اشتكيننا من ظاهرة(فوضى المفاهيم) في البحث العلمي، في العلوم الانسانية عموما، ومنها مجال الدراسات الاسلامية والدعوية،، حتى وجدنا عبد الله شريط (رحمه الله) في الجزائر، ينشر (بداية الثمانينيات) كتابه (معركة المفاهيم) و محمد عمارة في مصر، يكتب عن (معركة المصطلحات بين الغرب والاسلام)..

## ثانياً) - تأصيلها في إطار المرجعية الإسلامية.

### - في القرآن الكريم:

نزل القرآن برسالة الاسلام التي تهدف أساساً إلى تغيير المفاهيم الجاهلية؛ فتحا للقلوب وهداية للعقول التي رانت عليها مفاهيم السفاهة والجهل، تصحيحها، واستبدال مفاهيم الاسلام، وأساسها مفهوم (عقيدة التوحيد الخالص، وهو مفهوم كلي جوهري، بل هو جوهر الحضارة الإسلامية، كما يقول المفكر اسماعيل راجي الفاروقي - رحمه الله -<sup>(1)</sup>)، التي تصدر عن هذا المفهوم وتتأسس عليه مفاهيم: الاستخلاف، الأمانة، العدالة، الحرية، الشورى، التعارف،،،، وهناك أمثلة كثيرة لحرص القرآن على تغيير المفاهيم .....

### مثال: بيان مفهوم الإسلام والإيمان ...

في قوله تعالى: " قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14) ﴿﴾. [سورة الحجرات]. يتضح من هذه الآية أن هناك إسلاماً و هناك إيماناً، فالإسلام هو القيام بالأعمال الظاهرة من خلال أداء الأركان الخمس، الشهادتين، الصلاة، الزكاة الصوم والحج،،،،،، لكن الإيمان أمر يتعلق بحشاشة القلب، اليقين الصادق، الواجب أن يتكاملاً جميعاً في تمثل المسلم لدينه،،،،،،

قوله أيضاً: ((يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا عذاب انظرنا، وللكافرين أليم)) (البقرة/104)، لأن مفهوم راعنا عند اليهود فيه دلالة سخرية وسوء أدب،،،،،، فكان اليهود يستخدمونها في الكلام معه، بالمفهوم الذي عندهم.....<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية، ط1، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2015م..

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون، المجلد1، ج1، 1984م، ص651،

## - في السنة الشريفة:

### - بيان مفاهيم الإسلام، الإيمان والإحسان:

عَنْ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بينما نحن عند رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إِلَى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رِكْبَتَيْهِ إِلَى رِكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يا محمد، أخبرني عَنْ الإسلام؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رَسُولُ اللَّهِ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً" قَالَ صدقت. - فعجبنا له يسأله ويصدقه! - ، قَالَ: فأخبرني عَنْ الإيمان؟ قَالَ: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ وتؤمن بالقدر خيره وشره" قَالَ صدقت .... (إلى آخر الحديث) (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

### - مفهوم نصرة الظالم:

" عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أنصر أخاك ظالماً، أو مظلوماً. فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً، كيف أنصره؟ قال: تَحْجُزْهُ، أو تمنعه من الظلم، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ (رواه البخاري)

### - مفهوم المفلس:

حين سأل الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ( في صحيح مسلم) أصحابه: "أتدرون من المفلس؟ ، طبعاً هم ذكروا أن المفلس، الذي فقد ماله،، فصَحَّحَ المفهوم الديني الأخلاقي للمفلس وهو ذلك الشخص الذي فقد أخلاقه.....!!الحديث رواه مسلم، وأحمد، وغيرهم...

جاء في رواية مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر قالوا: حدثنا إسماعيل وهو ابن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله قال: (أتدرون ما المفلس؟) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: (إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه: أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار) أخرجه في باب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم..

## ثالثاً) عناية العلماء المسلمين بتصحيح المفاهيم، الغزالي نموذجاً

يشير (طه جابر العلواني)- رحمه الله- في كتاب أصدره العهد العالمي للفكر الإسلامي، بعنوان بناء المفاهيم ، إلى عناية علماء المسلمين بدراسة المصطلحات والمفاهيم، فكان (عضد الدين الايجي)<sup>1</sup> أول من ألف في (علم الوضع)، أي وضع اللفظ إزاء المعنى، وقسمه إلى قسمين : تحقيقي وضع اللفظ إزاء المعنى للدلالة عليه (الحقيقة)،،،، وتأويلي: تعيينه إزاء المعنى للدلالة عليه بواسطة علاقة أو قرينة وهو المجاز<sup>(2)</sup>. كما اعتنى اللغوي المشهور " ابن جني"<sup>3</sup> في كتابه (الخصائص) بالرد على من ادعى أن العرب اعتنت بالألفاظ على حساب المعاني " الدلالة"..<sup>(4)</sup>

لكن يبقى السبق في تجديد المفاهيم الكلية في الاسلام من نصيب مجدد القرن الخامس ، حجة الاسلام، الإمام الغزالي رحمه الله(450-505هـ) ، ، ، وه الذي أدرك عمق مشكلة تحريف المفاهيم وآثارها الخطيرة على مسار الحضارة الاسلامية، فكتب (إحياء علوم الدين)، ليجدد مفاهيمها أساسية(كلية) رأى انها حوّلت عن حقيقتها ووظيفتها : كالتوحيد، العلم، الحكمة، التذكير، الفقه .وساهمت بذلك في انحراف مساق الحضارة الاسلامية نفسها.... نذكر مفهوم الفقه مثلاً.....

### - مفهوم الفقه:

..، في اللغة هو العلم بالشيء و الفهم له سواء أكان الشيء دقيقاً أو جلياً .

وفي الاصطلاح. العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية. وهو ما أخذ به الفقهاء....  
تساءل الامام الغزالي : هل يقتصر مفهوم الفقه على مجرد العلم بفروع الأحكام؟؟.....ويجب إن الفقه ، ليس مجرد معرفة الفروع ، بل هو علمٌ شامل لمعاني وأبعاد الدين كله، علم طريق الآخرة، معرفة دقائق النفوس، وآفاتهما ، علم الكتاب السنة..علم طريق الآخرة... كان الفقيه في عصره يطلق على العارف بظاهر

<sup>1</sup> - هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الايجي، نسبة إلى مدينة (إيج) بإيران، عالم متبحر في الأصول، ولد في 680هـ، وتوفي في 756هـ، من أشهر كتبه المواقف في علم الكلام، والرسالة العضدية في علم (الوضع).

<sup>2</sup> - إبراهيم البيومي غانم وآخرون، بناء المفاهيم، دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المفاهيم والمصطلحات(4)، مجلد1، ط1، 1418هـ/1998م، ص17، 18.

<sup>3</sup> - هو أبو الفتح عثمان بن جني، عالم نحوي كبير، ولد بالموصل (العراق)، عام322هـ وتوفي ببغداد عام393هـ، من أشهر كتبه الخصائص في علم اللغة.

<sup>4</sup> - ابن جني، الخصائص، ط3، ج1، ت :محمد علي النجار، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص216، 218.



تتركز مهمتهم أساسا على نشره، لأنَّ الوعي هو المعرفة الحقيقية المبنية على وقائع ودراسات موضوعية بالواقع الذي نعيشه؛ من حيث إكراهاته، ثمَّ عقد العزم على إحداث التغيير، فالوعي معرفة وممارسة. نحن في حاجة إلى دراسة المفاهيم؛ لأنَّ كثيراً من المشاكل تنتج عن عدم تحديد المفاهيم. والوعي بالمفاهيم يعتبر مدخلاً رئيسياً لتضييق دائرة الخلاف..، كان "فولتير" يبدأ المناقشة دائماً بقوله: "حدِّد ألفاظك"، فالعلم بمعاني الألفاظ علمٌ صحيح لا يستغنى عنه للتفكير الصحيح ولا للحكم الصحيح....

## خامساً): تجليات أزمة المفاهيم في واقعنا الحضاري:

### سؤال المفاهيم في عصرنا:

سؤال أكثر إلحاحاً في عصرنا هذا؛ نظراً لتعقده وبروز الثورة التكنولوجية والزخم الاعلامي والأحداث المتسارعة وصراع الحضارات الذي يشهده العالم اليوم....

تطرح المشكلة، وتلح علينا، إن على مستوى الوعي (الفكر النظري) أو على مستوى السعي (التطبيق العملي) وقد سمعت ، شخصياً، لمن يعترض على تسمية جامعة الأمير عبد القادر بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية؛ والأولى أن نسميها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الشرعية، لأن العلوم التي تدرسها الجامعات الأخرى، من رياضيات وفيزياء، وما إليه من علوم تجريبية هي أيضاً علوم إسلامية.... كما سمعت أحد الأساتذة يستنكر أن يكون عندنا قسم يسمى بقسم (مقارنة الأديان) ،، لأن الدين عند الله واحد وهو الإسلام، لقوله تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام" (آل عمران/ 19) ، و كأنّ قولنا بالأديان إقرار ضمني بتعدد الآلهة.. !!

### تحريف مفهوم الجهاد:

من المفاهيم التي كثر فيها اللغط ، مفهوم الجهاد الذي يحنزله البعض في معنى واحد هو القتال، ، في حين يحمل معناه دلالات كثيرة تبدأ أول بجهاد البيان وإلزام الحجّة كقوله تعالى: " **فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ( الفرقان/52)**،، أي جهاد بالبيان والحجة....

ويحمل معنى مخالفة النفس وتأديبها في قوله تعالى: " **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ( العنكبوت/69)** ؛ كما هو حال توجه التزكية عند الصوفية....

فمفهوم الجهاد أعم،، وفكل مسلم ينبغي أن يكون مجاهداً في سبيل الله بمقتضى إسلامه، وليس بالضرورة أن يكون مقاتلاً،، وهو مستمر طول مدة حياة الانسان : ((الجهاد ماض إلى يوم القيامة،)) (الحديث) و

اليوم، يخرج علينا من يدعي نسخ آيات السلم والعتو حوالي 120 آية بآية السيف...!!...وسوء فهم هذا المفهوم أدى إلى انزلاقات خطيرة نعيش اليوم واقعها المرير..حتى وجدنا من يحدث في مساجد المسلمين في إيطاليا مباشرة بحديث (فتح روما)<sup>(1)</sup>،،؟؟؟ وغاب عن ذهن المسكين أن (الفتح) هنا لا يعني بالضرورة القتال بل هو فتح القلوب الايمان وفتح العقول بالعلم والمعرفة.. كما يقول المفكر السوداني عصام البشير.... وقد اعتنى الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي(رحمه الله) في توضيح المفهوم الحقيقي للجهاد في كتابه الرائع: "الجهاد كيف نفهمه وكيف نمارسه"<sup>(2)</sup>.

## المفاهيم في حلبة الصراع الفكري:

اعتنى الباحثون في الغرب بقضايا المفاهيم ودراستها،،،،، في إطار الاستيمولوجيا وفلسفة العلوم (كارل بوبر، و توماس كوهن) وفي كتابه(بنية الثورات العلمية) أشار إلى ظاهرة المفاهيم الناتجة من منظومة فكرية ونمط تفكير أو تجربة شخص أو جماعة بما يسمى(البرادام)<sup>(3)</sup>،،،،،، مثل ، الحرية ، الأصولية، التجديد، الحداثة، العلمانية، الديمقراطية، الدين، الله، التدين، الحضارة ، الثقافة، المدنية ، التطور، المادية،،،،،، الخ، وهي مفاهيم تتعرض في البنية الثقافية الغربية،،،،، وهناك من حاول نقلها كما هي إلى البنية الثقافية الإسلامية..؟؟ وهنا مكمّن الخطورة....

إذ أن بعض المفاهيم قد تكون **أفكاراً حية** في ثقافتها الأصلية ولكنها قد تتحول إلى قاتلة إذا حوّلت إلى ثقافة مغايرة،،،،، فلا يجوز نقلها من بيئة إلى بيئة أخرى ،حتى تتم مراجعتها وفق شروط وخصائص الثقافة المحلية،، كما يقول مالك بن نبي - رحمه الله-<sup>(4)</sup>...

<sup>1</sup> - ما رواه الحاكم في المستدرک وغيره عن عبد الله بن عمرو قال :بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المدينتين تفتح أولاً قسطنطينية أو رومية؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل مدينة هرقل أولاً . يعني القسطنطينية . صححه الذهبي في التلخيص، والألباني في السلسلة الصحيحة.

<sup>2</sup> - محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الاسلام، كيف نفهمه وكيف نمارسه، ط1، دمشق: دار الفكر، 1993/1414م..

<sup>3</sup> - تعني (البرادام): باللاتينية (Paradigma) ،هو النموذج أو المثال أو القياس،النموذج الفكري أو النموذج الإدراكي أو الإطار النظري ، وقد ظهرت هذه الكلمة منذ أواخر الستينيات من القرن العشرين في اللغة الإنجليزية بمفهوم جديد ليشير إلى أي نمط تفكير ضمن أي تخصص علمي أو موضوع متصل بنظرية المعرفة، واستعملها (توماس كوهن) للدلالة على مجموعة الممارسات التي تحدد أي تخصص علمي خلال فترة معينة من الوقت،

<sup>4</sup> - مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة واحمد شعبو بإشراف عمر كامل مسقاوي، ط1 دمشق: دار الفكر، 1413هـ /1992م ،، ص ، ص148، 149، 159.

وفي هذا الإطار نشير إلى ان مالك بن نبي استخدم كلمة (مفهومية) بما يعني الايديولوجيا وهي العنصر الذي يحقق جمع وتحريك الطاقات الاجتماعية.(راجع كتاب القضايا الكبرى، إشراف ندوة مالك بن نبي ، ط1، دار الفكر : 1991 م ص 91).

والملاحظ - اليوم - أن دوائر صنع القرار الغربية قد تتعمد عدم تحديد مفهوم واضح لبعض المسميات السياسية ، لتوظيفها متى تشاء وقتما تشاء لتحقيق مصالحها الاستراتيجية والجيوسياسية، كما تفعل أمريكا اليوم مع مصطلح إرهاب (terrorisme)..أو تطرف (integrisme).... الخ.

## مفهوم الأسرة في الغرب: ومحاولة نقله إلى البنية الثقافية الإسلامية:

عن طريق الإعلام، مراكز الدراسات، مؤتمرات السكان العالمية.. (مؤتمر بكين، مؤتمر القاهرة.... مفهوم الأسرة الفطري، يقوم على الزوجية : ذكر وأنثى،،،،غيروه إلى مفهوم يقوم على المثلية، شخصين، ممكن رجل ورجل أو امرأة وامرأة.....!!!!

- مفهوم العقل . -مفهوم الحرية . -مفهوم التجديد . -مفهوم الأخلاق . - مفهوم الديمقراطية.... الخ وهي مفاهيم جزئية لكنها تستخدم وتوظف توظيفاً خطيراً في إطار الصراع الفكري المحتدم اليوم.. وهي تختلف تماماً بل وتتعارض مع مفاهيمنا عن العقل، الحرية، التجديد، الأخلاق... .

الأستاذ البشير قلاتي/ كلية أصول الدين - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

## المراجع:

- <sup>1</sup> - إبراهيم البيومي غانم وآخرون، بناء المفاهيم، دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المفاهيم والمصطلحات(4)، مجلد1، ط1، 1418هـ /1998م .
- <sup>2</sup> - ابن جنّي، الخصائص، ط3، ج1، ت :محمد علي النجار، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.
- <sup>3</sup> - إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية، ط1، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2015م..
- <sup>4</sup> - ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون ، المجلد1، ج1، 1984م .
- <sup>5</sup> - البوطي، محمد سعيد رمضان، الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه وكيف نمارسه، ط1، دمشق: دار الفكر، 1993/1414م..
- <sup>6</sup> - بن نبي، مالك مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة واحمد شعبو بإشراف عمر كامل مسقاوي، ط1 دمشق: دار الفكر، 1413هـ /1992م ..
- <sup>7</sup> - بن نبي، مالك، القضايا الكبرى، إشراف ندوة مالك بن نبي ، ط1، دمشق: دار الفكر : 1991 م .



